

نضع أيدينا على مظاهر هذه الحياة الجديدة، فيما أتج  
المليون من أدب وعلم وفق .

أستطيع أن أقول إن واحد أمين، حينما اتدب لتأليف هذا  
الكتاب قد اتخذ لآمة المحارب ، ووضع أمام عينه غرضاً  
أقسم ليلغته ، أو ليعدل عن إظهار الكتاب . وهذا الغرض :  
هو تخليص الحياة العقلية الإسلامية في القرن الثاني من  
الغموض والابهام ، وما زال هذا الغموض والابهام حتى  
أجلها عن موقفها ، واتزع منها حياة المسلمين العقلية إلى  
منتصف القرن الثالث للهجرة . وكان يزورني كل أسبوع ومعه  
طائفة جميلة رائعة من الغنائم التي كان يكسبها في هذه الحرب  
الشاقة المتصلة ، فأقاسمه سعادته بالظفر ، واغباطه بالفوز .

ولست أحب أن تقدر أني أعمد في هذا الكلام إلى  
ضروب المجاز وألوان التمثيل لأزين القول وأتممه ، ولكني  
أحب أن تستيقن أني إنما أقول الحق خالصاً من كل زينة ،  
بريئاً من كل تميم . فقد كان تأليف هذا الكتاب حرباً  
عنيفة طويلة عملة بين المؤلف وبين الغموض والابهام . وكان  
المؤلف كلما تقدم خطوة وقف ينظم انتصاره ، ويصوغ  
ثمراة هذه الصيغة الجميلة التي سترها في أصول هذا الكتاب  
ويذهب في الوقت نفسه لهجمة أخرى يكسبها موقعة  
أخرى ، ويتصربها انتصاراً جديداً .

ومع أن المؤلف قد أنفق جهداً قوياً في أن يجتنب  
مشاركته فيما كان يجتمل من عناء ، ويلقى من مشقة ، ويذوق  
من مرارة الصبر والمصابرة ، ومطاوله المسائل المضطلة التي  
كانت تعرض له . فأنت واجد أثر هذا كله في أصول الكتاب ،  
حين ترى المؤلف يسير في أناة تشبه البطء ، ويعرض عليك  
جزيات ضئيلة ، تشبه أن تكون إغراقاً في التفصيل ، وتقليداً  
للجاحظ في حب الاستطراد ، ولكن اثبت لهذا البطء ،  
واصبر لهذا التفصيل ، واض مع الكاتب في رفق ، وأناة  
فترى أن نتيجة هذا الثبات والصبر والرفق أقوم جداً عما  
كنت تظن ، وأنفس جداً مما كنت تتظر ، وأن الكاتب لم يتورط  
فيها تورطاً ، وإنما قصد إليها تصداً . وتمدها تمعداً ، لأنه  
لم يكن يستطيع أن يبدل عنها حتى يضحى بالأمانة العلية ،  
والتحقيق الذي يفرضه البحث الحديث فرضاً على العلماء .  
ولا تتخف من هذا البطء ، ولا تشفق من هذه المطاوله ،  
فلن يتربصك ملل ، ولن يقل من حدك سأم ، ولن تضيق

بالكتاب لحظة ، فقد عرف الكاتب كيف يهون عليك طول  
الطريق إلى غايتك ، وكيف يبتك أمامك في هذه الطريق من  
الزهر ما يستهوى عينك ، وكيف يبشر حولك في هذه  
الطريق من الأصدااء الحلوة ما يخلب أذنيك . وأنا زعيم بأنك  
ستحتاج إلى أن تعيد قراءة بعض الصحف وبعض العصول .  
وسترى أن الكاتب على ابطائه وأناته مبرع مسرف في  
السرعة بعض الأحيان .

أشهد لقد وفق ، أحد أمين . في هذا الكتاب إلى الاجادة  
العلية والفتية معاً : استكشف الحياة العقلية الإسلامية  
استكشافاً لم يسبق إليه ، ثم عرضها عرضاً هو أبعد شيء عن  
جفاء العلم وجفوته ، وأدنى شيء إلى جمال الفن وعذوبته .

فليتم القراء بفصول هذا الكتاب ، وليتم المؤلف بما  
ينعم به الظافر حين يقبى إلى فوز لا تشوبه شائبة . ولتكن  
هذه الحياة الجادة الخصة المنتجة - في تواضع ولين جانب -  
التي يحياها ، أحد أمين . درساً نافعاً . ومثلاً صالحاً للذين  
يريدون أن يحياوا في مصر حياة العلماء .

طه حسين

## المهل الصافي

لأبي المحاسن بن تغرى بردى

للاستاذ عبد الله عنان

من آثارنا التاريخية النفيسة كتاب « المهل الصافي » ، والمستوفى  
بعد الوافي ، تأليف أبي المحاسن بن تغرى بردى المؤرخ المصرى  
الكبير المتوفى سنة ٨٨٧ هـ (١٤٦٩ م) وهو معجم ضخم للتراجم  
يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة ، وتوجد منه نسختان خطيتان  
بدار الكتب المصرية . وفيه يترجم المؤلف أعلام الإسلام منذ  
أوائل الدولة التركية ويبدأ بالمعز أيك الترمذى زوج شجرة الدر  
وملك مصر (٦٤٨ - ٥٥٥ هـ) أعني منذ منتصف القرن الثالث عشر  
الميلادى إلى منتصف القرن الخامس عشر ، ويفيض بوجه خاص  
في سير أعلام مصر والشام من ملوك وساسة وجند وعلماء وأدباء ،  
ويترجم أيضا بعض ملوك النصرانية وأمراةها في هذه العصور .  
مرتباً ذلك كله على حروف المعجم . (قد جعل أبو المحاسن مؤلفه  
تكلمة أو ذيلاً لمعجم الصفدى الشهير « الوافي » . ولهذا الأثر

قيمة تاريخية خاصة ، لأن مؤلفه وهو من أمراء البلاط القاهري في القرن التاسع الهجري لم يتأثر في وضعه بمؤثرات أو أهواء خاصة ، ولا سيما فيما يتعلق بترجمة معاصريه ، حسبما يشير إليه هو في مقدمته ، إذ يقول إنه وضع كتابه غير متدعي إلى ذلك من أحد من أعيان الزمان ، ولا مطالب به من الأصدقاء والاخوان ، ولا لتأليفه وترصيه من أمير ولا سلطان . والمعنى الذي يقصده المؤلف بهذه الإشارة ظاهر ؛ فقد كانت معظم التراجم في عصره توضع برحى معين أو تحمقاً لشهوات الخصومات السياسية والأدبية ، التي جعلت من كتاب القرن التاسع ومؤرخيه أحزانا أدبية متنافرة متخاصمة . ولكن أبا المحاسن يقدم لقارئه سير معاصريه والقرييين من عصره في صوراً أكثر استقلالاً وحرية في التقدير والحكم .

هذا الأثر المصري النفيس ما زال مخطوطاً لم ينشر ، كعظم آثارنا الأدبية ، ولكن المستشرق المعروف الأستاذ (فيت) مدير دار الآثار العربية ، أخرج لنا منذ عهد قريب بالفرنسية مجلداً ضخماً عن محتويات المنهل الصافي ، وسماه بنفس الاسم ، ونشر ضمن مجموعة المجمع العلمي المصري . وكان ضمن مجلدات ثلاثة من وضعه قدسها أخيراً إلى جلاله الملك . والواقع أن كتابه سيوفيت هذا لا يمثل كتاب المنهل الصافي ، لا في كثير ولا قليل من محتوياته ، فهو على رغم كونه يقع في ٤٨٠ صفحة كبيرة ، ليس أكثر من فهرس الكتاب الأصلي ، يهدله بسيوفيت بمقدمة صغيرة يصف فيها الكتاب ومحتوياته ويحصى عند التراجم التي يتضمنها ( وعددها ٢٨٢٢ ترجمة ) حسب صفات أصحابها من أمراء و قادة برسانة وتجار وأدباء وعلماء الخ ، ثم يكتب في كل ترجمة بذكر اسم صاحبها وتاريخ مولده ووفاته ورقم الورقة التي يشغلها من المخطوط الأصلي ، ويذكر المراجع الأخرى التي تشير إلى هذه الترجمة ، وأخصها كتاب النجوم الزاهرة لنفس المؤلف ( أبي المحاسن ) وخطط المقرئ ، وابن حجر ، والخواص الخ ، ثم يبدل ذلك بفهرس أبجدي عام .

وهذا مجهود له قيمته من الوجهة العلمية بلا ريب ، ولكننا نلاحظ أن الفائدة التي ترتب عليه بالنسبة لكتاب المنهل الصافي ليست كبيرة ، فهو كما قدمنا فهرس أو دليل فقط للبحث في الكتاب الأصلي . والتراجم التي يتضمنها الكتاب الأصلي مرتبة على حروف المعجم ، ولم يكن غير اعلى الباحثين أن يستخرجوها منه . وليس مما يقدم للبحث كثيراً أن يرشدنا مسيو فيت إلى أرقام

المجلدات والصفحات ، وأن يحيلنا في التراجم إلى مراجع يعرفها كل مشتغل بالتاريخ المصري . وكان خير المو أن مسيو فيت بذل هذا المجهود في نشر الكتاب نفسه أو جزء منه ، لأن هذا الفهرس الضخم يقع في نحو الخمسمائة صفحة ، أعنى نحو نصف المخطوط الأصلي ، وقد أنفق في إخراجه ما يكفي لإخراج مجلد ضخم على الأقل من المخطوط الأصلي . على أننا نرجو أن تقدم لنشر هذا الأثر المصري النفيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، إلى جانب كتاب السلوك في دول الملوك ، الذي تشتغل الآن بطبعه فتسدى بذلك إلى التاريخ المصري وإلى البحث فيه خدمة جليلة .

### لاتينيون وسكونيون

( بقية المنشور على صفحة ٤٢ )

جلس مجلس القاضي وأصدر بين الثقافتين حكم الوائق المظمن في أسطر ما أحبا تتجاوز العشرة ، ووجد طريقاً إلى أن يتأرنق هذه الاسطر القليلة بين الانجليز والفرنسيين وبين أناطول فرانس و برناردشو . وان يقول ان الفرنسيين قادوا العالم في القرن الثامن عشر وان الانجليز يقودون العالم الآن . أفان أن الاستاذ سلامة موسى يوافق على أن هذه المسألة أعسر وأعظم خطراً من أن يقضى فيها بحجة قلم وهذا الإيجاز الذي لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه ينتمى إلى الأقسام .

وأما الكتاب الآخر فهو الاستاذ محمد علي غريب . فقد كتب الاستاذ في البلاغ فصلاً أشهد أنه أضحكني وأضحكني ضحكاً فيه اعجاب كثير . فهو يسخر من العقاد ومنى لانا تتناش في مسألة كذبه لا تصلح موضوعاً للنقاش ولا تنتهي المناقشة فيها إلى نتيجة عملية . وله كل الحق في أن ينكر هذه المناقشة لولا أنه ينطلي . حين يطلب إلى كل بحث أو مناقشة أن تكون له نتيجة عملية . فتكون المناقشة خيراً في نفسها وقد يكون من الفصور أو التقصير ألا يكتب الناس إلا ليحققوا غرضاً عملياً . وقد يكون احقاق الحق في نفسه أم غرض ينبغي أن يكتب من أجله الكتاب . وقد يكون الاستاذ مخطئاً أيضاً حين يزعم أن ليس في مصر نقد أدبي مصري . ولكنني أنه هو ينقد الاستاذ العقاد وينقدني . وقد يكون الاستاذ مخطئاً أيضاً حين يزعم أننا نجادل في الادب الاجنبي ولا نتج شيئاً . فانا أظن أن الاستاذ العقاد قد أنتج شعراً ونثراً وأظن أني لم أنتق حياق عبثاً . وأنا أحب أن يقدنا الناقدون بل أنا شديد الحرص على هذا النقد وقد أضرب أحياناً ، ولكنني أحب أيضاً أن ينطق هؤلاء الناقدون نصيحاً لهم لقاء حسناً ، لعل أحسن ما تنصح به لهم ألا يسرفوا على أنفسهم ولا على الناس .